أنواع النصيحة

بيَّن الحديث النبوي الشريف أنواع النصيحة وحصرها في خمسة؛ وهي:

1ـ النصيحة لله تعالى.

2ـ النصيحة لكتاب الله.

3ـ النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

4ـ النصيحة لأئمة المسلمين (حكامهم وعلمائهم).

5ـ النصيحة لعامة المسلمين.

ولا شك أن الأنواع الأربعة الأخيرة ترجع في منتهاها إلى النوع الأول؛ لأن النوع الأول هو المقصود والغاية من الأنواع الأربعة الأخيرة، فكل نُصح إنما هو لله تعالى في منتهاه؛ إذ إنه المقصود الأسمى والغاية القصوى من كل عمل صالح.

وقد فسر علماؤنا رضي الله عنهم أنواع هذه النصائح وكيفيتها، ونذكر ذلك تفصيلا فيما يأتي؛ فنقول وبالله التوفيق:

❋ ❋ ❋

1ـ النصيحة لله تعالى

معنى النصيحة لله ﷻ: صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته[24]، والإيمان به، ونفي اعتقاد الشرك معه، وترك الإلحاد في صفاته، وبذل الطاعة له، وإخلاص العمل فيما أمر به ونهى عنه، وموالاة من أطاعه، ومعاداة من عصاه، والاعتراف بنعمه، والشكر له عليها[25]، وتنزيهه عن النقائص، والرغبة فى مَحابِّه، والبعد من مساخطه[26]، والمناضلة عَن دينه، والمدافعة عَن الْإِشْرَاك بِهِ[27]،

24. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: 388هـ)، المطبعة العلمية – حلب، ط1، 1351 هـ – 1932 م: 4/ 126، الشافي: 5/ 543.

25. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت 388 هـ)، تح: د./ محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، ط1، 1409 هـ – 1988 م: 1/ 191.

26. شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: 544هـ)، تح: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1419 هـ – 1998 م: 1/ 307.

27. كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تح: علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، 4/ 219.

وإخلاص العمل له ونصرة الحق فيه وتحري مرضاته بالدعاء إلى توحيده، والذَّبُّ عن حريم حرمته[28].

وَقَدْ نقل الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله ما حَكاه الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهَّ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ فِي كِتَابِهِ "تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ" عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ فَسَّرَ هَذَا الْحَدِيثَ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَى حُسْنِهِ، قال: جِمَاعُ تَفْسِيرِ النَّصِيحَةِ هُوَ: عِنَايَةُ الْقَلْبِ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ مَنْ كَانَ، وَهِيَ عَلَى وَجْهَيْنِ:

1ـ فَرْضٌ؛وهِيَ شِدَّةُ الْعِنَايَةِ مِنَ النَّاصِحِ بِاتِّبَاعِ مَحَبَّةِ اللهَّ فِي أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ، وَمُجَانَبَةِ مَا حَرَّمَ؛ وتفسير ذلك: مُجَانَبَةُ نَهْيِهِ، وَإِقَامَةُ فَرْضِهِ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ مَا كَانَ مُطِيقًا لَهُ، فَإِنْ عَجَزَ عَنِ الْإِقَامَةِ بِفَرْضِهِ لِآفَةٍ حَلَّتْ بِهِ مِنْ مَرَضٍ أَوْ حَبْسٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ: عَزَمَ عَلَى أَدَاءِ مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِ مَتَى زَالَتْ عَنْهُ الْعِلَّةُ الْمَانِعَةُ لَهُ، قَالَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ {لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا للهَّ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ} (التَّوْبَةِ: 91)، فَسَمَّاهُمْ مُحْسِنِينَ لِنَصِيحَتِهِمْ للهَّ بِقُلُوبِهِمْ لَمَا منعُوا مِنَ الْجِهَادِ بِأَنْفُسِهِمْ، وَقَدْ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا عَنِ الْعَبْدِ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ وَلَا يُرْفَعُ عَنْهُ النُّصْحُ للهَّ؛ فَلَوْ كَانَ مِنَ الْمَرَضِ بِحَالٍ لَا يُمْكِنُهُ عَمَلٌ بِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِهِ بِلِسَانٍ وَلَا غَيْرِهِ، غَيْرَ أَنَّ عَقْلَهُ ثَابِتٌ، لَمْ يَسْقُطْ عَنْهُ النُّصْحُ للهَّ بِقَلْبِهِ وَهُوَ: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى ذُنُوبِهِ، وَيَنْوِيَ إِنْ صَحَّ أَنْ يَقُومَ بِمَا افْتَرَضَ اللهُّ عَلَيْهِ، وَيَجْتَنِبَ مَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَإِلَّا كَانَ غَيْرَ نَاصِحٍ للهَّ بِقَلْبِهِ، وَكَذَلِكَ النُّصْحُ للهَّ وَلِرَسُولِهِ ﷺ فِيمَا أَوْجَبَهُ

28. الميسر في شرح مصابيح السنة: 3/ 1073.

عَلَى النَّاسِ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَمِنَ النُّصْحِ الْوَاجِبِ للهِ أَنْ لَا يَرْضَى بِمَعْصِيَةِ الْعَاصِي، وَيُحِبَّ طَاعَةَ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ.

2ـ نَافِلَةٌ، وهِيَ إِيثَارُ مَحَبّة الله تعالى عَلَى مَحَبَّةِ نَفْسِهِ؛ وَذَلِكَ أَنْ يَعْرِضَ أَمْرَانِ: أَحَدُهُمَا لِنَفْسِهِ وَالْآخَرُ لِرَبِّهِ؛ فَيَبْدَأُ بِمَا كَانَ لِرَبِّهِ وَيُؤَخِّرُ مَا كَانَ لِنَفْسِهِ، وتفسير ذلك: بَذْلُ الْمَجْهُودِ بِإِيثَارِ اللهَ عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ بِالْقَلْبِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ حَتَّى لَا يَكُونَ فِي النَّاصِحِ فَضْلٌ عَنْ غَيْرِهِ، لِأَنَّ النَّاصِحَ إِذَا اجْتَهَدَ لَمْ يُؤْثِرْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ، وَقَامَ بِكُلِّ مَا كَانَ فِي الْقِيَامِ بِهِ سُرُورُهُ وَمَحَبَّتُهُ، فَكَذَلِكَ النَّاصِحُ لِرَبِّهِ، وَمَنْ تَنَفَّلَ للهِ بِدُونِ الِاجْتِهَادِ فَهُوَ نَاصِحٌ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ، غَيْرُ مُسْتَحِقٍّ لِلنُّصْحِ بِكَمَالِهِ[29].

وَقَالَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ: النصيحة لله تعالى هِيَ:

1ـ الْإِيمَانُ بِوُجُودِهِ؛ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ وَرَاءَ التَّحَيُّزَاتِ مَوْجُودًا خَالِقًا.

2ـ وَالإيمان بِصِفَاتِهِ الثُّبُوتِيَّةِ وَالسَّلْبِيَّةِ وَالْإِضَافِيَّةِ.

3ـ وَالإيمان بِأَفْعَالِهِ؛ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ ـ الْمُسَمَّى بِالْعَالَمِ ـ فَإِنَّمَا حَدَثَ بِقُدْرَتِهِ، وَهُوَ مِنَ الْعَرْشِ إِلَى الثَّرَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْعَظَمَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَقَلُّ مِنْ خَرْدَلَةٍ.

4ـ وَالإيمان بِأَحْكَامِهِ؛ بِأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهَا غَيْرُ مُعَلَّلَةٍ بِغَرَضٍ، وَأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ شَرْعِهَا مَنَافِعُ عَائِدَةٌ إِلَى الْعَبْدِ، وَأَنَّ لَهُ الْحُكْمَ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ إِنْ أَثَابَ فَبِفَضْلِهِ وَإِنَّ عَذَّبَ فَبِعَدْلِهِ.

5ـ وَالإيمان بِأَسْمَائِهِ؛ بِأَنْ يَعْلَمَ بِأَنَّهَا تَوْقِيفِيَّةٌ.

29. انظر: جامع العلوم والحكم: 1/ 231.

6ـ ثُمَّ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ له، وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ، وَالْحُبِّ لَهُ، وَالْبُغْضِ فِيهِ[30].

قال الإمام الخطابي رحمه الله: وحقيقة هذه الإضافة ـ أي: إضافة النصيحة إلى الله تعالى ـ راجعة إلى العبد في نصيحة نفسه لله، ودعوةِ غيره من الخلق إلى هذه الخصال في أمر خالقه ﷻ، والله سبحانه غني عن نصح كل ناصح، وإرشاد كل مرشد، وبه نال الرشدَ المرشدون، وبنوره اهتدى المهتدون، وبرحمته نجا الفائزون[31].

❋ ❋ ❋

30. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ - 2002م، 7/ 3111.

31. أعلام الحديث: 1/ 191.

2ـ النصيحة لكتاب الله تعالى

كلمة (كتابه) في الحديث الشريف: مفرد مضاف، فيعم سائر كتبه المنزلة؛ بأن يؤمن بأنها من عنده وتنزيله، ويُميِّز القرآنَ بأنه لا يشبه شيئا من كلام المربوبين، ولا يقدر على مثله أحد من المخلوقين، والمحافظة على تلاوته، وإقامة حروفه في التلاوة، وتحسين الصوت به عند القراءة، والخشوع عند ذلك، والذب عنه في تأويل المحرفين له، وطعن الطاعنين عليه، والتصديق بوعده ووعيده، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، وتدبر آياته، والعلم بفرائضه وسننه وآدابه، والتخلق بآدابه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والتفقه في علومه، والتبين لمواضع المراد من خاصه وعامه، وناسخه ومنسوخه وسائر وجوهه، والدعاء إليه، ويمسك عن الخوض في تفسيره ما دام لم تجتمع فيه آلاته[32].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهَّ، فَشِدَّةُ حُبِّهِ وَتَعْظِيمُ قَدْرِهِ، إِذْ هُوَ كَلَامُ الْخَالِقِ، وَشِدَّةُ الرَّغْبَةِ فِي فَهْمِهِ، وَشِدَّةُ الْعِنَايَةِ لِتَدَبُّرِهِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ لِطَلَبِ مَعَانِي مَا أَحَبَّ مَوْلَاهُ أَنْ يُفْهِمَهُ عَنْهُ، أَوْ يَقُومَ بِهِ لَهُ بَعْدَ مَا يُفْهِمُهُ، وَكَذَلِكَ النَّاصِحُ مِنَ الْعِبَادِ يَفْهَمُ وَصِيَّةَ مَنْ يَنْصَحُهُ، وَإِنْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنْهُ عُنِيَ

32. أعلام الحديث:1/ 192، إكمال المعلم: 1/ 307.

بِفَهْمِهِ لِيَقُومَ عَلَيْهِ بِمَا كَتَبَ بِهِ فِيهِ إِلَيْهِ، فَكَذَلِكَ النَّاصِحُ لِكِتَابِ رَبِّهِ، يُعْنَى بِفَهْمِهِ لِيَقُومَ للهِ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ كَمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى، ثُمَّ يَنْشُرُ مَا فَهِمَ فِي الْعِبَادِ وَيُدِيمُ دِرَاسَتَهُ بِالْمَحَبَّةِ لَهُ، وَالتَّخَلُّقِ بِأَخْلَاقِهِ، وَالتَّأَدُّبِ بِآدَابِهِ[33].

❋ ❋ ❋

33. جامع العلوم والحكم: 1/ 221.

3ـ النصيحة للرسول ﷺ

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فإنما هي في تصديقه على الرسالة وقبول ما جاء به ودعا إليه، وطاعته فيما سنَّ وشرع، وبيَّن من أمر الدين وشرح، والانقياد له فيما أمر ونهى وحكم وأمضى، وترْك التقديم بين يديه، وإعظام حقه، وتعزيره، وتوقيره، وتعظيمه، ومؤازرته، ونصرته حيا وميتًا، وإحياء طريقته في بث الدعوة، وإشاعة السنة، ونفي التهمة في جميع ما قاله ونطق به، فإنه لكَما وصفه ربه وباعثه فقال: {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى}، وقال: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما}[34]، ومعاداة من عاداه، ومحاربة من حاربه، وبذل النفوس والأموال دونه فى حياته، وإحياء سنته بعد موته بالبحث عنها، والتفقه فيها، والذَّبُّ عنها، ونشرها، والدعاء إليها، والتخلق بأخلاقه الكريمة، والتأدب بآدابه الجميلة، وتوقيره، ومحبة آل بيته وأصحابه، وأتباعه وأحبابه، ومجانبة من ابتدع فى سُنَّتِه أو تعرض لأحدٍ من أصحابه ونحو ذلك[35]، وَاسْتِثَارَةُ عُلُومِ السنة، وَالتَّفَقُّهُ فِي مَعَانِيهَا، وَالدُّعَاءُ إِلَيْهَا، وَالتَّلَطُّفُ فِي تَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا، وَإِعْظَامُهَا وَإِجْلَالُهَا، وَالتَّأَدُّبُ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا، وَالْإِمْسَاكُ

34. أعلام الحديث: 1/ 192.

35. إكمال المعلم: 1/ 307، منحة الباري: 1/ 244.

عَنِ الكلام فيها بغير علم، وإجلالُ أهلها لانتسابهم إِلَيْهَا[36]، وإخلاص العمل في اتباعه[37]، وإيثاره بالمحبة فوق نفسه ووالده وولده والناس أجمعين[38].

ونقل ابن بطال عن الآجري قال: والنصيحة لرسول الله ﷺ على وجهين: فنصيحة من صَاحَبَهُ وشاهده، ونصيحة من لم يره:

أـ فأما صحابته: فإن الله شرط عليهم أن يعزروه ويوقروه وينصروه، ويعادوا فيه القريب والبعيد، وأن يسمعوا له ويطيعوا، وينصحوا كل مسلم، فَوَفُّوا بذلك وأثنى الله عليهم به.

ب ـ وأما نصيحة من لم يره: فأن يحفظوا سُنَّته على أمته، وينقلوها، ويعلموا الناس شريعته ودينه، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فإذا فعلوا ذلك فهم ورثة الأنبياء[39].

وقال ابن رجب رحمه الله: "وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِلرَّسُولِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ: فَبَذْلُ الْمَجْهُودِ فِي طَاعَتِهِ وَنُصْرَتِهِ وَمُعَاوَنَتِهِ، وَبَذْلُ الْمَالِ إِذَا أَرَادَهُ، وَالْمُسَارَعَةُ إِلَى مَحَبَّتِهِ".

---

36. المنهاج: 2/ 38.

37. الشافي: 5/ 544.

38. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: 743هـ)، تح: د./ عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض)، ط1، 1417 هـ – 1997 م: 10/ 3183.

39. شرح ابن بطال: 1/ 130.

"وَأَمَّا بَعْدَ وَفَاتِهِ: فَالْعِنَايَةُ بِطَلَبِ سُنَّتِهِ، وَالْبَحْثُ عَنْ أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، وَتَعْظِيمُ أَمْرِهِ، وَلُزُومُ الْقِيَامِ بِهِ، وَشِدَّةُ الْغَضَبِ وَالْإِعْرَاضِ عَمَّنْ تَدَيَّنَ بِخِلَافِ سُنَّتِهِ، وَالْغَضَبُ عَلَى مَنْ ضَيَّعَهَا لِأَثَرَةِ دُنْيَا، وَإِنْ كَانَ مُتَدَيِّنًا بِهَا، وَحُبُّ مَنْ كَانَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ مِنْ قَرَابَةٍ، أَوْ صِهْرٍ، أَوْ هِجْرَةٍ أَوْ نُصْرَةٍ، أَوْ صُحْبَةِ سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَالتَّشَبُّهِ بِهِ فِي زِيِّهِ وَلِبَاسِهِ"[40].

وقال رحمه الله: وَمِنْ أَنْوَاعِ النُّصْحِ للهِ تَعَالَى وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ - وَهُوَ مِمَّا يَخْتَصُّ بِهِ الْعُلَمَاءُ -: رَدُّ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَبَيَانُ دَلَالَتِهِمَا عَلَى مَا يُخَالِفُ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا، وَكَذَلِكَ رَدُّ الْأَقْوَالِ الضَّعِيفَةِ مِنْ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ، وَبَيَانُ دَلَالَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى رَدِّهَا، وَمِنْ ذَلِكَ بَيَانُ مَا صَحَّ مِنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَا لَمْ يَصِحَّ مِنْهُ بِتَبْيِينِ حَالِ رُوَاتِهِ وَمَنْ تُقْبَلُ رِوَايَاتُهُ مِنْهُمْ وَمَنْ لَا تُقْبَلُ، وَبَيَانُ غَلَطِ مَنْ غَلَطَ مِنْ ثِقَاتِهِمُ الَّذِينَ تُقْبَلُ رِوَايَتُهُمْ[41].

❋ ❋ ❋

40. جامع العلوم والحكم: 1/ 222.

41. المرجع نفسه: 1/ 224.

4ـ النصيحة لأئمة المسلمين

المراد بأئمة المسلمين نوعان:

1ـ أئمة السلطة: وهم الولاة والحكام.

2ـ أئمة الدين: وهم العلماء بجميع تخصصاتهم.

أولا: الولاة والحكام

أما النصيحة للولاة والحكام: فهى على قدر الجاه والمنزلة عندهم، فإذا أمن من ضرهم فعليه أن ينصحهم، فإذا خشى على نفسه فحسبه أن يُغَيِّر بقلبه، وإن علم أنه لا يقدر على نصحهم فلا يدخل عليهم، فإنه يغشهم ويزيدهم فتنة ويذهب دينه معهم، وقد قال الفضيل بن عياض: ربما دخل العالم على الملك ومعه شيء من دينه فيخرج وليس معه شيء، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: يصدقه فى كذبه، ويمدحه فى وجهه[42].

قال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ في التمهيد:

"فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ مِنَ الدِّينِ النُّصْحَ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَهَذَا أَوْجَبَ مَا يَكُونُ؛ فَكُلُّ مَنْ وَاكَلَهُمْ وَجَالَسَهُمْ وَكُلُّ مَنْ أَمْكَنَهُ نُصْح السُّلْطَانِ لَزِمَهُ ذَلِكَ إِذَا رَجَا أَنْ

42. شرح البخاري لابن بطال: 1/ 131.

يُسْمَعَ مِنْهُ، وَرَوَى مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: أَلَا أَخَافُ فِي اللهَّ لَوْمَةَ لَائِمٍ خَيْرٌ لِي أَمْ أُقْبِلُ عَلَى أَمْرِي؟ فَقَالَ: أَمَّا مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَلَا يَخَفْ فِي اللهَّ لَوْمَةَ لَائِمٍ، وَمَنْ كَانَ خِلْوًا فَلْيُقْبِلْ عَلَى نَفْسِهِ وَلِيَنْصَحْ لِأَمِيرِهِ، وَسُئِلَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَيَأْتِي الرَّجُلُ إِلَى السُّلْطَانِ فَيَعِظُهُ وَيَنْصَحُ لَهُ وَيَنْدُبُهُ إِلَى الْخَيْرِ؟ فَقَالَ: إِذَا رَجَا أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُ وَإِلَّا فَلَيْسَ ذَلِكَ عَلَيْهِ".

"قَالَ أَبُو عُمَرَ: إِنَّمَا فَرَّ مَنْ فَرَّ مِنَ الْأُمَرَاءِ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَنْصَحَ لَهُمْ وَلَا يُغَيِّرَ عَلَيْهِمْ وَلَا يَسْلَمَ مِنْ مُتَابَعَتِهِمْ، رَوَى كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ وَغَيْرُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ "سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؛ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ وَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ وَلَا يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ"[43]، وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ "إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ ـ أَوْ قَالَ: كَلِمَةُ عَدْلٍ ـ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ" رَوَاهُ ابْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُ، وَذَكَرَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ قَالَ: لَا تَأْتِهِمْ، فَإِنْ أَتَيْتَهُمْ فَاصْدُقْهُمْ، قَالَ: وَأَنَا أَخَافُ أَلَّا أَصْدُقَهُمْ"[44].

43. رواه عبد بن حميد في "المنتخب" (370)، والترمذي في "سننه" (2259) وقال: هذا حديث صحيح غريب، وابن أبي عاصم في "السنة" (757)، والنسائي في "السنن الكبرى" (7783)، وأبو جعفر الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (1344)، وابن حبان في صحيحه (283)، والطبراني في "المعجم الكبير" (294)، والحاكم في "المستدرك" (263)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (16668).

44. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: 21/ 268.

ومن نصيحتهم: بذل الطاعة لهم في المعروف، ومعونتهم عليه، وأمرهم به، وتذكيرهم إياه على أحسن الوجوه، والصلاة خلفهم، وجهاد الكفار معهم، والمحافظة على بيعتهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء سيرة، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من أمور المسلمين، وأن لا يُغَرُّوا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى بالصلاح لهم[45]، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم[46]، وأن يدفع الأذيةَ عنهم، وَسَدُّ خُلَّتِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ، وَجَمْعُ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ، وَرَدُّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةِ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ أَعْظَمِ نَصِيحَتِهِم: دَفْعُهُمْ عَنِ الظُّلْمِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ[47].

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

45. معالم، أعلام الحديث: 1/ 193، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 2/ 38.

46. إكمال المعلم: 1/ 307.

47. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب،عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز: 1/ 183، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (ت: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط7، 1323 هـ: 1/ 151، كوثر المعاني: 2/ 438.

"وَأَمَّا النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ: فَحُبُّ صَلَاحِهِمْ وَرُشْدِهِمْ وَعَدْلِهِمْ، وَحُبُّ اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمْ، وَكَرَاهَةُ افْتِرَاقِ الْأُمَّةِ عَلَيْهِمْ، وَالتَّدَيُّنُ بِطَاعَتِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ ﷻ، وَالْبُغْضُ لِمَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ، وَحُبُّ إِعْزَازِهِمْ فِي طَاعَةِ اللهِ ﷻ"[48].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في هذا المقام كلاما جيدًا، أنقله هنا بتمامه لتعم فائدته؛ قال رحمه الله:

"والنصيحة للأمراء تكون بأمور منها:

أولاً: اعتقاد إمامتهم وإمرتهم، فمن لم يعتقد أنهم أمراء فإنه لم ينصح لهم، لأنه إذا لم يعتقد أنهم أمراء فلن يمتثل أمرهم ولن ينتهي عما نهوا عنه، فلا بد أن تعتقد أنه إمام أو أنه أمير، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية، ومن تولى أمر المسلمين ولو بالغلبة فهو إمام، سواء كان من قريش أومن غير قريش.

ثانيًا: نشر محاسنهم في الرعية، لأن ذلك يؤدي إلى محبة الناس لهم، وإذا أحبهم الناس سهل انقيادهم لأوامرهم، وهذا عكس ما يفعله بعض الناس حيث ينشر المعايب ويخفي الحسنات، فإن هذا جورٌ وظلم، فمثلاً يذكر خصلة واحدة مما يُعيب به على الأمراء وينسى خصالاً كثيرة مما قاموا به من الخير، وهذا هو الجور بعينه.

ثالثًا: امتثال ما أمروا به وما نهوا عنه، إلا إذا كان في معصية الله ﷻ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وامتثال طاعتهم عبادة وليست مجرد سياسة، بدليل أن الله تعالى أمر بها فقال ﷻ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأولي الأمر

48. جامع العلوم والحكم: 1/ 222.

منكم) (النساء: 59) فجعل ذلك من مأموراته عزّ وجل، وما أمر الله تعالى به فهو عبادة، ولا يشترط في طاعتهم ألاّ يعصوا الله، فأطِعْهم فيما أمروا به وإن عصوا الله، لأنك مأمور بطاعتهم وإن عصوا الله في أنفسهم.

رابعًا: ستر معايبهم مهما أمكن، وجه هذا: أنه ليس من النصيحة أن تقوم بنشر معايبهم، لما في ذلك من مَلْءِ القلوب غيظاً وحقداً وحنقاً على ولاة الأمور، وإذا امتلأت القلوب من ذلك حصل التمرّد، وربما يحصل الخروج على الأمراء، فيحصل بذلك من الشر والفساد ما الله به عليم.

وليس معنى قولنا: ستر المعايب أن نسكت عن المعايب، بل ننصح الأمير مباشرة إن تمكنا، وإلا فبواسطة من يتصل به من العلماء وأهل الفضل، ولهذا أنكر أسامة بن زيد ﷺ على قوم يقولون: أنت لم تفعل ولم تقل لفلان ولفلان يعنون الخليفة، فقال كلامًا معناه: (أتريدون أن أحدثكم بكل ما أحدث به الخليفة) فهذا لا يمكن، فلا يمكن للإنسان أن يحدث بكل ما قال للأمير، لأنه إذا حدَّث بهذا فإما أن يكون الأمير نفذ ما قال، فيقول الناس: الأمير خضع وذل، وإما أن لا ينفذ فيقول الناس: عصى وتمرّد.

ولذلك؛ من الحكمة إذا نصحت ولاة الأمور أن لا تبين ذلك للناس، لأن في ذلك ضررًا عظيمًا.

خامسًا: عدم الخروج عليهم، وعدم المنابذة لهم، ولم يرخص النبي ﷺ في منابذتهم إلا كما قال: "أَنْ تَرَوا" ـ أي رؤية عين، أو رؤية عِلْم متيقنة ـ "كُفْرًا بَوَاحًا" ـ أي واضحًا بيّنًا ـ "عِنْدَكُمْ فِيْهِ مِنَ اللهِ بُرْهَانٌ" ـ أي دليل قاطع ـ.

ثم إذا جاز الخروج عليهم بهذه الشروط فهل يعني ذلك أن يخرج عليهم؟ لأن هناك فرقاً بين جواز الخروج، وبين وجوب الخروج.

والجواب: لا نخرج حتى ولو رأينا كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، إلا حيث يكون الخروج مصلحة، وليس من المصلحة أن تقوم فئة قليلة سلاحها قليل في وجه دولة بقوتها وسلاحها، لأن هذا يترتب عليه إراقة الدماء واستحلال الحرام دون ارتفاع المحذور الذي انتقدوا به الأمراء، كما هو مشاهد من عهد خروج الخوارج في زمن الخلفاء الراشدين ﷺ إلى يومنا هذا، حيث يحصل من الشر والمفاسد ما لا يعلمه إلا ربُّ العباد، لكن بعض الناس تتوقد نار الغيرة في قلوبهم ثم يُحدِثون ما لا يحمد عقباه، وهذا غلط عظيم.

ثم إنا نقول: ما ميزان الكفر؟ فقد يرى البعض هذا كفرًا والبعض لا يراه كفرًا، ولهذا قيد النبي ﷺ ذلك بقوله "كُفْرًا بَوَاحًا" ليس فيه احتمال، كما لو رأيته يسجد للصنم، أو سمعته يسب الله، أو رسوله أو ما أشبه ذلك"[49].

وقال ـ رحمه الله ـ في كتاب (شرح رياض الصالحين):

---

49. شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، دار الثريا للنشر، ص120، 121.

"والنصيحة لهم ـ أي للأمراء ـ هي أن نكف عن مساوئهم، وأن لا ننشرها بين الناس، وأن نبذل لهم النصيحة ما استطعنا، بالمباشرة إذا كنا نستطيع أن نباشرهم أو بالكتابة إذا كنا لا نستطيع، أو بالاتصال بمن يتصل بهم إذا كنا لا نستطيع الكتابة؛ لأنه أحياناً لا يستطيع الإنسان الكتابة لهم، ولو كتب لم تصل إلى المسؤول، فيتصل بأحدٍ يتصل بالمسؤول وينبهه، فهذا من النصح.

أما نشر مساوئهم فليس فيه عدوان شخصي عليهم فقط، بل هو عدوان شخصي عليهم وعلى الأمة جميعًا؛ لأن الأمة إذا امتلأت صدورها من الحقد على وُلاة أمورها عصت الولاة، ونابذتهم، وحينئذ تحصل الفوضى، ويسود الخوف، ويزول الأمن، فإذا بقيت هيبة ولاة الأمور في الصدور صار لهم هيبة، وحميت أوامرهم ونظمهم التي لا تخالف الشريعة.

فالمهم أن أئمة المسلمين تشمل النوعين، أئمة الدين وهم العلماء، وأئمة السلطان وهم الأمراء، وإن شئت فقل أئمة البيان، وأئمة السلطان، وأئمة البيان وهم العلماء الذين يبيّنون للناس، وأئمة السطان وهم الأمراء الذين ينفذون شريعة الله بقوة السلطان، إذَن أئمة المسلمين سواء أئمة العلم والبيان، أو أئمة القوة والسلطان يجب علينا أن نناصحهم، وأن نحرص على بذل النصيحة لهم، في الدفاع عنهم وستر معايبهم، وعلى أن نكون معهم إذا أخطأوا في بيان ذلك الخطأ لهم بيننا وبينهم؛ لأنه ربما نعتقد أن هذا العالم مخطئ أو أن هذا الأمير مخطئ وإذا ناقشناه تبين لنا أنه غير مخطئ، كما يقع هذا كثيرًا.

كذلك أيضًا ربما تنقل لنا هذه الأشياء عن العالم أو عن الأمير على غير وجهها، وإما لسوء القصد من الناقل؛ لأن بعض الناس- والعياذ بالله - يحب تشهير السوء بالعلماء وبالأمراء، فيكون سيىء القصد ينقل عليهم ما لم يقولوه، وينسب إليهم ما لم يفعلوه، فإذا سمعنا عن عالم أو عن أمير ما نرى أنه خطأً فلابد من تمام النصيحة مناقشته، وبيان الأمر وتبيُّنه حتى نكون على بصيرة"[50].

- إذا لم يتمكن من نصح السلطان:

قال الإمام ابن عبد البر رحمه الله:

"إِنْ لَمْ يَكُنْ يَتَمَكَّنُ نُصْحَ السُّلْطَانِ: فَالصَّبْرُ وَالدُّعَاءُ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَنْهَوْنَ عَنْ سَبِّ الْأُمَرَاءِ، روى ابن عبد البر بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَنْهَوْنَنَا عَنْ سَبِّ الْأُمَرَاءِ، وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ نُسَيٍّ قَالَ: وَقَفَ أَبُو الدَّرْدَاءِ عَلَى بَابِ مُعَاوِيَةَ فَحَجَبَهُ لِشُغْلٍ كَانَ فِيهِ، فَكَأَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ؛ فَقَالَ: مَنْ يَأْتِ أَبْوَابَ السُّلْطَانِ قَامَ وَقَعَدَ، وَمَنْ يَجِدْ بَابًا مُغْلَقًا يَجِدْ إِلَى جَنْبِهِ بَابًا رَجَا فَتْحًا، إِنْ سَأَلَ أُعْطِيَ، وَإِنِ اسْتَعَاذَ أُعِيذَ، وَإِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الْمَرْءِ طَعْنُهُ عَلَى إِمَامِهِ، وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ قَالَ: مَا سَبَّ قَوْمٌ أَمِيرَهُمْ إِلَّا حُرِمُوا خَيْرَهُ"[51].

---

50. شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ)، دار الوطن للنشر، الرياض، 1426 هـ: 2/ 396.

51. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: 21/ 287.

ـ وجوب نصح الإمام لرعيته:

قَالَ ابن عبد البر رحمه الله:

"وَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ مِنَ النُّصْحِ لِرَعِيَّتِهِ كَالَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ لَهُ، قَالَ ﷺ "كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ عَلَيْهِمْ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ"[52]، الْحَدِيثَ رَوَاهُ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَوَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ "مَا مِنْ أَمِيرٍ يُؤَمَّر على عشرة إلا يُسأل عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[53]، وَرَوَى الْحَسَنُ عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهَّ ﷺ يَقُولُ "مَنِ اسْتَرْعَاهُ اللهُّ رَعِيَّةً وَمَاتَ وَهُوَ لَهَا غَاشٌّ حَرَّمَ اللهُّ عليه الجنة"[54]، وعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: مَرِضَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ مَرَضًا ثَقُلَ فِيهِ، فَأَتَاهُ زِيَادٌ يَعُودُهُ فَقَالَ: إِنِّي مُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهَّ ﷺ؛ سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول "مَنِ اسْتُرْعِيَ رَعِيَّةً فَلَمْ يُحِطْهُمْ بِنَصِيحَةٍ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا

---

52. رواه مالك في "الموطأ" (2121)، وأحمد في " المسند" (5167)، وعبد بن حميد في "المنتخب" (745)، والبخاري في "الأدب المفرد" (206).

53. رواه الطبراني في المعجم الكبير (12166).

54. رواه معمر بن راشد في جامعه (20651)، والطبراني في "المعجم الكبير" (472)، وابن منده في "الإيمان" (558).

يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خمسمائة عام"[55]، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلِيفَةَ بسنده عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء ﷺ قَالَ: لَا إِسْلَامَ إِلَّا بِطَاعَةٍ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا فِي الْجَمَاعَةِ وَالنُّصْحِ للهِ وَلِلْخَلِيفَةِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ عَامَّةً"[56].

❋ ❋ ❋

55. رواه أحمد في مسنده (20315)، والروياني في مسنده (1302)، والطبراني في المعجم الكبير (473)، والقطيعي في "جزء الألف دينار" (203)، وابن أبي شيبة في مصنفه (37722) وكلهم بلفظ (مسيرة مائة عام).

56. التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد: 1/ 288.

نماذج من نصح الحكام[57]:

كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك:

حج سليمان بن عبد الملك؛ فلما قدم المدينة للزيارة بعث إلى أبي حازم الأعرج وعنده ابن شهاب؛ فلما دخل قال: تكلم يا أبا حازم، قال: فيم أتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: في المخرج من هذا الأمر، قال: يسيرٌ إن أنت فعلته، قال: وما ذاك؟ قال: لا تأخذ الأشياء إلا من حلّها، ولا تضعها إلا في أهلها، قال: ومن يقوى على ذلك؟ قال: من قلّده الله من أمر الرعية ما قلّدك، قال: عظني أبا حازم! قال: اعلم أن هذا الأمر لم يصِرْ إليك إلا بموت مَن كان قبلك، وهو خارج من يديك بمثل ما صار إليك، قال: يا أبا حازم أشِرْ عليّ، قال: إنما أنت سوق؛ فما نفق عندك حُمِل إليك من خير أو شر؛ فاختر أيهما شئت، قال: مالك لا تأتينا؟ قال: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين؟ إن أدنيتني فتنتني، وإن أقصيتني أخزيتني؛ وليس عندك ما أرجوك له، ولا عندي ما أخافك عليه! قال: فارفع إلينا حاجتك، قال: قد رفعتها إلى مَن هو أقدر منك عليها، فما أعطاني منها قبلتُ، وما منعني منها رضيتُ.

---

57. ينظر في هذا كتاب: العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت: 328هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1404 هـ: 3/ 107 وما بعدها.

سليمان بن عبد الملك وأعرابي:

دخل أعرابيّ على سليمان بن عبد الملك، فقال: يا أمير المؤمنين، إني مكلّمك بكلام، فاحتمله إن كرهته، وراءه ما تحب إن قبلته، قال: هات يا أعرابي، قال:

إني سأطلق لساني بما خرسَتْ عنه الألسن من عِظَتِك، تأدية لحق الله تعالى وحق إمامتك؛ إنه قد اكتنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم، فابتاعوا دنياك بدينهم، ورضاك بسخط ربهم، خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك، فهم حربٌ للآخرة سلم للدنيا، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه، فإنهم لا يألونك خبالا، والأمانة تضييعا، والأمة عسفا وخسفا، وأنت مسئول عما اجترحوا، وليسوا مسئولين عما اجترحْتَ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك، فإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة وأعظمهم غَبْنًا: من باع آخرتَه بدنيا غيره، قال سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد سللت لسانك وهو أحد سيفيك، قال: أجل يا أمير المؤمنين؛ لك لا عليك.

مقام رجل من العباد عند المنصور:

بينما المنصور في الطواف ليلا إذ سمع قائلا يقول: "اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع"، فخرج المنصور، فجلس ناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل يدعوه، فصلى الرجل ركعتين، واستلم الركن، وأقبل مع الرسول، فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض، وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فو الله لقد حشوت مسامعي ما أرمضني، فقال: إن أمّنتني يا أمير المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها، وإلا احتجرت منك واقتصرت على نفسي فلي فيها

شاغل، قال: فأنت آمن على نفسك فقل، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت، فقال: فكيف ذلك ويحك! يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو والحامض عندي؟ قال:

وهل دخل أحد من الطمع ما دخلك؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم، فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجصّ والآجرّ، وأبوابا من الحديد، وحرّاسا معهم السلاح، ثم سجنتَ نفسك عنهم فيها، وبعثت عمّالك في جباية الأموال وجمعها وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكراع، وأمرت ألا يدخل عليك أحد من الرجال إلّا فلان وفلان، نفرا سمّيتهم، ولم تأمر بإيصال المظلوم، ولا الملهوف، ولا الجائع العاري، ولا الضعيف الفقير إليك، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر ـ الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك وأمرت أن لا يُحجبوا دونك ـ تجبي الأموال وتجمعها؛ قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لا نخونه؛ فائتمروا ألّا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خوّنوه عندك ونفوه، حتى تسقط منزلته، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم، أعظمهم الناس وهابوهم وصانعوهم، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال، ليقووا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو المقدرة والثروة من رعيتك، لينالوا ظلم من دونهم، فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلما وبغيا وفسادا، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل، فإن جاء متظلّم حيل بينك وبينه، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد

نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلا ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره، سألوا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ويلوذ به، ويشكو ويستغيث، وهو يدفعه، فإذا أجهد وأحرج ثم ظهرتَ صرخ بين يديك، فيضرب ضربا مبرحا يكون نكالا لغيره، وأنت تنظر فما تنكر! فما بقاء الإسلام على هذا؟ وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة وقد أصيب ملكهم بسمعه، فبكى بكاء شديدا، فحثه جلساؤه على الصبر فقال: أما إني لست أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إذ قد ذهب سمعي فإن بصري لم يذهب، نادوا في الناس أن لا يلبس ثوبا أحمر إلّا متظلّم، ثم كان يركب الفيل طرفي النهار وينظر هل يرى مظلوما، فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله، بلغت رأفته بالمشركين هذا المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيت نبيّه لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شحّ نفسك! فإن كنت إنما تجمع المال لولدك، فقد أراك الله عبرا في الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل، حتى تعظم رغبة الناس إليه، ولست الذي تعطي، بل الله تعالى يعطي من يشاء ما يشاء، فإن قلت إنما تجمع المال لتشديد السلطان، فقد أراك الله عبرا في بني أمية، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله بهم ما أراد، وإن قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها، فو الله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة ما تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل؟ فقال المنصور: لا، فقال: فكيف تصنع بالملك

الذي خوّلك ملك الدنيا، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأى ما عقد عليه قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحته يداك، ومشت إليه رجلاك، هل يغني عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك ودعاك إلى الحساب؟

فبكى المنصور، ثم قال: ليتني لم أخلق! ويحك كيف أحتال لنفسي؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن للناس أعلاما يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسدّدوك.

قال: قد بعثت إليهم فهربوا مني.

قال: خافوك أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك، وسهّل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات على حِلها، واقسمها بالحق والعدل على أهلها، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة.

وجاء المؤذّنون فآذنوه بالصلاة، فصلى وعاد إلى مجلسه، وطلب الرجل فلم يوجد.

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور:

قال الأوزاعي: دخلت على المنصور فقال لي: ما الذي بطأ بك عني؟ قلت: وما تريد مني يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الاقتباس منك؛ فقلت: يا أمير المؤمنين، انظر ما تقول، فإن مكحولا حدّثني عن عطية بن بسر، أن رسول الله ﷺ قال «من بلغته عن

الله نصيحة في دينه فهي رحمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها من الله بشكر وإلا فهي حجة من الله عليه ليزداد إثما ويزداد الله عليه غضبا، وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا، وإن سخط فله السخط، ومن كرهه فقد كره الله ﷻ؛ لأن الله هو الحق المبين»[58].

ثم قلت: يا أمير المؤمنين، إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة، وقد عُرِضَتْ على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وقد جاء عن جدك عبد الله بن عباس في تفسير قول الله ﷻ: (لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصاها) قال: "الصغيرة: التبسم، والكبيرة: الضحك"؛ فما ظنك بالقول والعمل؟ فأعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن ترى أن قرابتك من رسول الله ﷺ تنفعك مع المخالفة لأمره، فقد قال ﷺ: «يا صفيّة عمّة محمد، ويا فاطمة بنت محمد، استوهبا أنفسكما من الله، فإني لا أغني عنكما من الله شيئا»[59]، وكذلك جدّك العباس، سأل إمارة من النبي ﷺ، فقال: «أي عمّ؛ نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها"[60]؛ نظرا لعمه وشفقة عليه من

58. لم أعثر عليه فيما بين يدي من كتب الحديث؛ ولكن روى الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "مَن بلغته عن الله فضيلة فلم يصدق بها لم تنله".

59. رواه البخاري في صحيحه باب: من انتسب إلى آبائه في الإسلام، ومسلم في صحيحه (348)، وأخرجه الشافعي في مسنده: ص29، وإسحاق بن راهويه في مسنده (228)، (753)، وأحمد في مسنده (8402)، والدارمي في سننه (2774)، والبخاري في الأدب المفرد (48)، والفاكهي في "أخبار مكة": 2/ 187، والترمذي في سننه (2310)، والبزار في مسنده (2919)، والنسائي في السنن الكبرى (6441)، وأبو عوانة في مستخرجه (268)، وأبو جعفر الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (5390)، وابن حبان في صحيحه (646)، وغيرهم.

60. لم أعثر عليه فيما بين يدي من كتب الحديث.

أن يلي فيحيد عن سنّته جناح بعوضة، فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا، وقال ﷺ: «ما من راعٍ يبيت غاشّا لرعيته إلا حرّم الله عليه رائحة الجنة"[61]، وحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظرا، ولما استطاع من عوراتهم ساترا، وبالحق فيهم قائما، فلا يتخوّف محسنهم رهقا، ولا مسيئهم عدوانا؛ فقد كانت بيد رسول الله ﷺ جريدة يستاك بها ويردع عنه المشركين بها، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، ما هذه الجريدة التي معك! اتركها لا تملأ قلوبهم رعبا[62]! فما ظنك بمن سفك دماءهم، وقطع أستارهم، ونهب أموالهم! يا أمير المؤمنين، إنّ المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده؛ فقال جبريل: يا محمد، إنّ الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك[63]، واعلم يا أمير المؤمنين أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة، ولا ثمرة من ثمارها؛ ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لأهلك الناسَ رائحته، فكيف بمن يتقمّصه! ولو أن ذنوبا من صديد أهل النار صبّ على ماء الدنيا لأحمّه، فكيف بمن يتجرّعه! ولو أن حلقة من

61. لم أعثر عليه فيما بين يدي من كتب الحديث.

62. لم أعثر عليه فيما بين يدي من كتب الحديث.

63. عن أَبي جَعْفَرٍ أَحْمَد بْن عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ النَّحْوِيُّ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ الْقُرْقُسَائِيُّ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيُّ، حَدَّثَنِي مَكْحُولٌ، عَنْ زِيَادِ بْنِ حَارِثَةَ، عن حبيب بن مسلمة أن رسول الله ﷺ دعا إلى القصاص من نفسه في خدْشةٍ خدشها أعرابياً لم يتعمده، فأتاه جبريلُ عليه الصلاة والسلام، فقال: يا محمد، إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً، فدعا النبى ﷺ الأعرابى، فقال: "اقتص مني"، فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي، وما كنتُ لأفعل ذلك أبداً ولو أتيت على نفسي، فدعا له بخير. قال الحاكم: تفرد به أحمد بن عبيد (يعني ابن ناصح النحوي)، عن محمد بن مصعب، ومحمد بن مصعب ثقة، فتعقبه الذهبي بقوله: قال ابن عدي: أحمد بن عبيد صدوق له مناكير، ومحمد ضعيف. (مستدرك الحاكم: 7943).

سلاسل جهنم وضعت على جبل لأذابته؛ فكيف بمن يسلك فيها؛ ويردّ فضلها على عاتقه.

كلام عمرو بن عبيد عند المنصور:

دخل عمرو بن عبيد على المنصور وعنده ابنه المهدي، فقال له أبو جعفر: هذا ابن أمير المؤمنين، وولي عهد المسلمين؛ ورجائي أن تدعو له، فقال: يا أمير المؤمنين، أراك قد رضيتَ له أمورا يصير إليها وأنت عنه مشغول، فاستعبر أبو جعفر وقال له: عِظْني أبا عثمان! قال: يا أمير المؤمنين! إنّ الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها، هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يد من كان قبلك لم يصل إليك!

قال: أبا عثمان؛ أعنّي بأصحابك، قال: ارفع عَلَم الحق يتبعك أهله؛ ثم خرج، فأتبعه أبو جعفر بِصُرّة، فلم يقبلها؛ وجعل المنصور يقول:

كلكم يمشي رويد... كلّكم خاتل صيد... غير عمرو بن عبيد

خبر سفيان الثوري مع أبي جعفر:

لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه وقال: أتعرفني؟ قال: لا، ولكنك قبضت عليّ قبضة جبّار، قال: عظني أبا عبد الله، قال: وما عملتَ فيم علمتَ فأعظك فيما جهلتَ؟ قال: فما يمنعك أن تأتينا؟ قال: إن الله نهى عنكم فقال تعالى (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)، فمسح أبو جعفر يده به ثم التفت إلى أصحابه فقال: ألقينا الحَبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فرارا.

مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي:

قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي فقال له: إنه لما سهل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول إليك، قمنا مقام الأداء عنهم وعن رسول الله ﷺ، بإظهار ما في أعناقنا من فريضة الأمر والنهي عند انقطاع عذر الكتمان، ولا سيما حين اتسمت بميسم التواضع، ووعدت الله وحملة كتابه إيثار الحقّ على ما سواه، فجمعَنا وإياك مشهد من مشاهد التمحيص، وقد جاء في الأثر: من حجب الله عنه العلم عذّبه على الجهل؛ وأشد منه عذابا من أقبل إليه العلم فأدبر عنه، فاقبل يا أمير المؤمنين ما أهدى إليك من ألسنتنا قبول تحقيق وعمل، لا قبول سمعة ورياء؛ فإنما هو تنبيه من غفلة، وتذكير من سهو وقد وطّن الله ﷻ نبيه ﷺ على نزولها، فقال تعالى: (وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ).

كلام شبيب بن شيبة للمهدي:

قال العتبي: سألت بعض آل شبيب بن شيبة: أتحفظون شيئا من كلامه؟ قالوا: نعم، قال للمهدي: يا أمير المؤمنين، إن الله إذ قسم الأقسام في الدنيا جعل لك أسناها وأعلاها، فلا ترض لنفسك في الآخرة إلا مثل ما رضي لك به من الدنيا، فأوصيك بتقوى الله فعليكم نزلت؛ ومنكم أخذت، وإليكم تردّ.

مقام ابن السماك عند الرشيد:

دخل عليه، فلما وقف بين يديه قال له: عظني يا ابن السماك وأوجز.

قال: كفى بالقرآن واعظا يا أمير المؤمنين، قال الله تعالى (بِسْمِ اللهَّ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذا كالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ *)، هذا يا أمير المؤمنين وعيد لمن طفف في الكيل، فما ظنك بمن أخذه كله!

وقال له مرة: عظني، وأُتِيَ بماء ليشربه، فقال: يا أمير المؤمنين، لو حُبِستْ عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم، قال: فلو حبس عنك خروجها أكنت تفديها بملكك؟ قال: نعم! قال: فلا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة! قال: يا ابن السماك، ما أحسن ما بلغني عنك؟ قال: يا أمير المؤمنين، إن لي عيوبا لو اطلع الناس منها على عيب واحد ما ثبتت لي في قلب أحد مودة؛ وإني لخائف في الكلام الفتنة، وفي السر الغِرة، وإني لخائف على نفسي من قلة خوفي عليها.

المأمون وواعظ:

ووعظ رجل المأمون فأصغى إليه منصتا، فلما فرغ قال: قد سمعت موعظتك، فأسأل الله أن ينفعنا بها، وربما عملنا، غير أنا أحوج إلى المعاونة بالفعال منا إلى المعاونة بالمقال، فقد كثر القائلون وقلّ الفاعلون.

عتبة بن أبي سفيان وبعض القراء:

دخل أناس من القُرَّاء على عتبة بن أبي سفيان فقالوا: إنك سلطت السيف على الحق ولم تسلط الحق على السيف، وجئت بها عشوة خفيّة، قال: كذبتم! بل سلطت الحق وبه سُلِّطت، فاعرفوا الحق تعرفوا السيف، فإنكم الحاملون له حيث وضعه أفضل، والواضعون له حيث عمله أعدل، ونحن في أوّل زمان لم يأت آخره، وآخر دهر قد فات أوله، فصار المعروف عندكم منكرا، والمنكر معروفا، وإني أقول لكم مهلا، قبل أن أقول لنفسي هلا! قالوا: فنخرج آمنين؟ قال غير راشدين ولا مهذبين.

بين الرشيد وواعظ:

قال رجل للرشيد: يا أمير المؤمنين، إني أريد أن أعظك بعظة فيها بعض الغلظة فاحتملها، قال: كلا، إنّ الله أمر من هو خير منك بإلانة القول لمن هو شر مني؛ قال لنبيّه موسى إذ أرسله إلى فرعون (فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى).

بين الرئيس المصري الأسبق/ محمد حسني مبارك وعلماء الأزهر الشريف:

في عام 1995م تعرض الرئيس المصري الأسبق/ محمد حسني مبارك لمحاولة اغتيال في (أديس أبابا) عاصمة إثيوبيا، ولكن نجاه الله تعالى من هذا الحادث، واجتمع علماء الأزهر الشريف ورجال الكنيسة لتهنئته بالنجاة، وحضر من علماء الأزهر الشريف: فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر أ.د/ جاد الحق علي جاد

الحق، وفضيلة مفتي الديار المصرية أ.د/ محمد سيد طنطاوي، وفضيلة إمام الدعاة الشيخ/ محمد متولي الشعراوي، وفضيلة الداعية الشيخ/ محمد الغزالي، ومعالي وزير الأوقاف أ.د/ محمد علي محجوب، وهذا اللقاء مسجلٌ تلفازيا، ولكني أحببت أن أوثقه كتابيا في هذا البحث، لعل أن يكون في ذلك حفاظا عليه من الضياع أو التحريف، وأن يكون في قراءته قراءة متأنية دروس وعبر.

لما دخل الرئيس المصري على علماء الأزهر الذين كانوا في انتظاره استقبله الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله بقوله:

"باسم الله يحرس هذا الرجاء، والحمد لله على نعمة النجاة، والله أكبر لطف حين قدر، وأزاح الغمام عن البدر فأسفر، فباسم الله والحمد لله والله أكبر"

وتمثل الشيخ/ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ ببيت من البردة، فأنشد:

عناية الله أغنت عن مضاعفة ❊ من الدروع وعن عالٍ من الأطمِ

ثم دعا له الشيخ بقوله: "ربنا يرعاك".

وأهدى له الشيخ الشعراوي إطارا زخرفيا به صورة للكعبة المشرفة ومكتوب فيه (سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم).

وفي قاعة اللقاء ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر أ.د/ جاد الحق علي جاد الحق ـ رحمه الله ـ كلمة؛ فقال:

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، السيد الرئيس؛ سلمْتَ وسلمَتْ بك مصر، بل سلم بك العالم الإسلامي جميعه، دائما

في حفظ الله ورعايته، نسأل الله أن تكون بك الهداية، وبك السلامة لهذا الشعب الذي يلتف حولك، شكرا وسلامة لك".

وقال إمام الدعاة فضيلة الشيخ/ محمد متولي الشعراوي ـ رحمه الله ـ:

"أحمد الله تعالى كما علمنا أن نحمد، وأصلي وأسلم على خير خلقه سيدنا محمد، وبعد: فإن أذن الراعي قلما تتهيأ للسان الرعية، فمن أعطاه الله أذن راعٍ فليحسن ما يقوله له، وأن يدعو الله له، فإن بدعائه له يصلح الله به خلقا كثيرا، وأنا أستعير من المتنبي ما قاله لسيف الدولة:

ولا أخصك في منجى بتهنئة ❊ إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وإني يا سيادة الرئيس أقف على عتبة دنياي لأستقبل أجل الله، فلن أختم حياتي بنفاق، ولن أبرز عنك نيتي باجتراء، ولكني أقول كلمة موجزة للأمة كلها، حكومة وحزبا، ومعارضة ورجالا، وشعبا آسف أن يقول: سلبي، أريد منهم أن يعلموا أن الملك كله بيد الله، يؤتيه من يشاء، فلا تآمر لأخذه، ولا كيد للوصول إليه، فإن الحق ﷻ حينما حكى حوار إبراهيم للنمروذ؛ ماذا قال له؟ (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك) وهو كافر، فالملك حين ينزله الله فهو يؤتي الملك من يشاء، فلا تآمر على الله لملك، ولا كيد على الله لحكم، لأنه لن يحكم أحد في ملك الله إلا بمراد الله، فإن كان عادلا: فقد نفع بعدله، وإن كان جائرا ظالما: بشَّع الظلم وقبَّحه في نفوس كل الناس، فيكرهون كل ظالم ولو لم يكن حاكما، ولذلك أقول للقوم جميعا:

إننا ـ والحمد لله ـ قد تأكد لنا صدق الله في كلامه بما جاء من الأحداث، فكيف كنا نفسر قول الله (ويمكرون ويمكر الله)؟ وكيف كنا نفسر (إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا)؟ الله يريد أن يثبت قيوميته على خلقه، فأنا أنصح، كل من يجول برأسه أن يكون حاكما أنصحه بأن لا تطلبه، بل يجب أن تُطلَب له، فإن رسول الله ﷺ قال "من طلب إلى شيء أعين عليه، ومن طلب شيئا وكل إليه"[64].

يا سيادة الرئيس؛ آخر ما أحب أن أقوله لك ـ ولعل هذا يكون آخر لقائي أنا بك ـ: إذا كنت قدرنا فليوفقك الله، وإذا كنا قدرك فليعنك الله على أن تتحمل، والسلام عليكم ورحمة الله"

وقال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

"بسم الله الرحمن الرحيم، يسعدني أن أقف مهنئا السيد الرئيس بيد الله التي انبسطت عليه بالرعاية والحماية، والتي أخرست مؤامرات الظلام، واستبقت الرجل الكبير ليؤدي رسالته في حياة هذه الأمة، إن الآجال والأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى، لا يملك أحد منها شيئا، انقطعت قُدَر الناس عنها، وبقيت كلمة الله وحده، وإذا كان هناك ناس ادعوا الذكاء والمهارة والخبث، وتآمروا بليل على أن يفعلوا فعلتهم، فالأمر كما قال المعري:

تقفون والفلك المسخر دائر * وتُقَدِّرون وتضحك الأقدارُ

64. رواه معمر بن راشد في جامعه (20652) عن قتادة مرسلا بلفظ "من أكره على عمل أعين عليه، ومن طلب عملا وُكل إليه".

لقد ضحكت الأقدار عندما خاب الشطار، وعندما تمخض تآمرهم عن ضياع، ويشاء الله أن نلتقي هنا لكي تترجم الأفئدة عما أكنه الله فيها، كي نؤدي واجب الشكر لمن يستحق الشكر، وصلى الله على محمد وآله"

وألقى الرئيس/ محمد حسني مبارك كلمة مرتجلة قال فيها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، سعيد بأن أشعر أن وراءنا رجالا، سعيد بأن ألتقي معكم كمصريين، مسلمين ومسيحيين والأديان المختلفة، ويجب أن نبقى يدا واحدة، متحدين تحت مظلة مصر، التي تأوينا وتحمينا، وأنا أؤمن بالقدر، ولم أكن يوما ما خائفا من خطر، الموت أمر كلنا في النهاية سنصير إليه، ولا يجب أن نخشى أو ترتعد فرائصنا، ما حدث أكد لي وزادني قوة للاستمرار في العمل لصالح هذا الشعب وهذه الأمة، دونما تحيز هنا أو هناك، وهذه هي طبيعتي طول حياتي منذ أن كنت صغيرا، أحب الحق، ولا أريد الظلم، وأتبع المواثيق، وأتناقش مع أولي الأمر، حتى أصل دائما للقرار السليم في الوقت المناسب، أشكركم ولا أستطيع أن أجاريكم في العبارات القوية التي سمعتها من رجال الدين جميعا، على رأسهم شيخ الأزهر والبابا شنودة وفضيلة الشيخ الشعراوي وفضيلة الشيخ الغزالي وجميع الإخوان، وكلنا قريبون من بعض، وأستنير ببعض ما يقولونه، وأحيانا قد أستشيرهم في بعض الموضوعات، وفقنا الله جميعا وشكرا"

ثم ختم الشيخ الشعراوي رحمه الله اللقاء بقوله:

"أيها الشعب، أيتها الرعية، قدر الله لا يأتي إلا بخير، وسترون قريبا آثار هذه الهزة، حكما سديدا راشدا آخذا بيدنا إلى منهج الله".

ثانيا: العلماء

المقصود بالعلماء: كل العلماء المتخصصين في العلوم النافعة للإنسانية، وعلماء الشرع الشريف هم أولى الناس بذلك، لأنهم أكثر العلماء تعرضا لألسنة بعض العامة، وخاصة إذا وقفوا بجانب الحق الذي لا يرضي أهواءهم، والعالم الصادق يدور مع الحق حيث دار، ولا ينظر في جانب من هو؟ فإن كان الحق في جانب الحاكم كان معه، وإن كان الحق في جانب المحكوم كان معه، فلا يُحابون حاكما، ولا ينافقون محكوما، فعندما يصدع العلماء بالحق الذي لا يتفق مع أهواء بعض العامة ولكن قدر الله أن يكون موافقا لبعض مواقف الحاكم قالوا عنهم أنهم (علماء السلطان)؛ وجعلوا من هذا الوصف سُبَّة لهم في حين أنه مدح للسلطان في حقيقته، فهو يعني أن السلطان اتخذ لنفسه بطانة من العلماء يرجع إليهم ويصدر عن رأيهم، وإذا قام الخطيب مثلا بنقد بعض سلبيات المجتمع ولم يتعرض للحاكم بالنقد جابهه وزايدوا عليه وذكروا له حديث (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) وكأنه لا يعلمه، أو هو يعلمه ولكنهم أفقه لمعناه منه، أو هو يفقه معناه ولكنه يتخاذل عن تطبيقه، وغفل هؤلاء عن لفظ (العندية) التي هي في جميع طرق وروايات الحديث، ناهيك عن الفُجْر في الخصومة السياسية عندما يجتزئون بعض أحاديث الشيخ اجتزاءً

مُشوَّها وينشرون هذا الاجتزاء عبر الشبكة العنكبوتية من أجل تشويهه أمام العامة والسخرية منه والتنقص من قامته وقيمته العلمية؛ ولكن هيهات، فإذا كان هناك خطيب يخطب في مسجد في نجع أو بادية أو قرية أو مدينة هل هو الآن عند الحاكم؟ أو أن الحاكم عنده؟ ماذا يفيد لو تعرض لسلبيات الحاكم على المنبر إن كان يريد الإصلاح؟ هل سمعه الحاكم؟ هل سيكون لكلامه أي تأثير أو تغيير يُذكر؟ بالطبع سيكون له تأثير واحد؛ وهو إثارة العامة ضد الحاكم مما يغرُّهم بمعصيته أو الخروج عليه أو الوقوف في وجهه أو غير ذلك من البلاءات التي ينتج عنها ويلات لا إصلاحات، والواقع خير دليل على ذلك.

والعجيب في أمر الناس أنه إذا سار أحد العلماء أو أحد الخطباء على منهج السلف الصالح وأهل السنة والجماعة في إذاعة ونشر إيجابيات الحاكم وتأليف القلوب حوله والدعاء له بالتوفيق والرشاد وأن يصلح الله به حال البلاد والعباد؛ وجدتهم يرمونه بالنفاق أوالجبن عن النطق بكلمة الحق والتزلف للحاكم! وإني لأعجب: أين الحاكم الذي يتزلف له خطيب في قرية أو نجع بعيد عن العاصمة، والحاكم لم يُصلِّ معه ولا حتى سمع خطبته؟ أين موضع التزلف والنفاق إذن؟! وأين الجبن في معركة لا يوجد في ميدانها إلا الخطيب فقط، ولو تكلم بأدنى كلمة سوء عن الحاكم أو المسئول لغلبَ لأنه لا يوجد أحد منهم ليدافع عن نفسه أصلا؛ فأين الجبن إذن؟!

ووجدتَّهم بدلا من أن يطالبوه بعدم النفاق مطلقا يطالبونه بالتحول من منافقة الحاكم إلى منافقة المحكوم، عندها يصنعون منه بطلا شعبيا، ولكنها ـ كما قلت سابقا

ـ بطولة زائفة لأنها مصنوعة من الورق، ويجودون عليه بالمدح والثناء، فيغرونه من نفسه ويبيع لهم دينه بدنياهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فالمنوط بنصح الحاكم هو من تيسر له الاجتماع به ومقابلته، وهذا متيسر للسادة أصحاب الفضيلة ذوي المناصب الدينية العليا، لا سيما وأن أحد الحكام استحدث منصبا جديدا لم يكن معهودا من قبل في العصر الحديث وهو منصب (المستشار الديني)، ونحن نحسن الظن بهؤلاء العلماء في أنهم يقومون بما وجب عليهم من نصح الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالضوابط الشرعية التي علموها من آداب الشرع الشريف، ونسأل الله عز وجل لهم التوفيق والسداد فيما حملوه من أمانة تبليغ الحاكم عن الأمة.

وقد تولى العلماء على مدار التاريخ الولايات الدينية عن بعض الحكام غير الراشدين؛ وإذا رفض العلماء الصالحون هذه الولايات فستتعطل مصالح الأمة لا شك، وإن كان نقل عن بعض هؤلاء العلماء رفض لتولي هذه المناصب فهذا زهد منهم وتورع عن الانغماس في شيء من المظالم، أو لأنه لم يتعين عليهم القبول لوجود غيرهم ممن يصلح لهذه المناصب، وهم مع ذلك لم يخرجوا على الحاكم ولم يؤلبوا عليه العامة، بل كانوا دائما يأمرون بطاعة ولي الأمر في غير معصية، ويحذرون أتباعهم من الخروج حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد عريض.

طَلَبَ أبو جعفر المَنْصُوْرُ الإمام أَبَا حَنِيْفَةَ النعمان رحمه الله، فَأَرَادَه عَلَى القَضَاءِ، وَحَلَفَ لَيَلِيَنَّ، فَأَبَى وَحَلَفَ: إِنِّي لاَ أَفْعَلُ، فَقَالَ الرَّبِيْعُ الحَاجِبُ: تَرَى أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ يَحلِفُ وَأَنْتَ تَحلِفُ؟ قَالَ: أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ عَلَى كَفَّارَةِ يَمِيْنِه أَقْدَرُ مِنِّي، فَأَمَرَ بِهِ إِلَى

السِّجْنِ، فَمَاتَ فِيْهِ بِبَغْدَادَ، وَقِيْلَ: دَفَعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى صَاحِبِ شُرطَتِه حُمَيْدٍ الطُّوْسِيِّ، فَقَالَ: يَا شَيْخُ! إِنَّ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ يَدفَعُ إِلَيَّ الرَّجُلَ، فَيَقُوْلُ لِي: اقْتُلْه، أَوِ اقْطَعْه، أَوِ اضْرِبْه، وَلاَ أَعْلَمُ بِقِصَّتِه، فَمَاذَا أَفْعَلُ؟ فَقَالَ: هَلْ يَأمُرُكَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ بِأَمرٍ قَدْ وَجَبَ، أَوْ بِأَمرٍ لَمْ يَجِبْ؟ قَالَ: بَلْ بِمَا قَدْ وَجَبَ، قَالَ: فَبَادِرْ إِلَى الوَاجِبِ[65].

قارن بين موقف هذا الإمام وبين الذين يُحَمِّلون صِغار الجنود من الشرطة والقوات المسلحة مسئولية ما بينهم وبين الحاكم من خصومة سياسية؛ بل يشجعونهم على رفض أوامر قادتهم مما يترتب عليه خلل عظيم تشتد به الفتنة وتعظُم؛ ويستخدمون من آيات الله تعالى في غير موضعها ما يشاءون، خاصة صدر سورة القصص التي تتحدث عن فرعون وهامان وجنودهما وعن بني إسرائيل، مع أن الحاكم المسلم ليس هو فرعون، ولا القوات المسلحة هي جنود فرعون، ولا الخصوم السياسيون هم بنو إسرائيل!.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل الذي عُذّب وامتُحِن في قضية (خلق القرآن) أيام الخليفة العباسي المأمون، وسُجن وعُذِّب في عهد المعتصم حيث ضُرب نيفا وثمانين سوطا ضربا مبرحا شديدا جدا، وفي خلافة المتوكل بن المعتصم وشى رجل من المبتدعة يقال له: ابن البلخي إلى الخليفة المتوكل شيئا فقال: إن رجلا من العلويين قد أوى إلى منزل أحمد بن حنبل وهو يبايع له الناس في الباطن، فأمر الخليفة نائب بغداد أن يكبس منزل أحمد من الليل، فلم يشعروا إلا والمشاعل قد أحاطت بالدار من كل

65. سير أعلام النبلاء، 6/ 402.

جانب حتى فوق الأسطحة، فوجدوا الإمام جالسا في داره مع عياله، فسألوه عما ذكر عنه فقال: ليس عندي من هذا علم، وليس من هذا شيء، ولا هذا من نيتي، وإني لأرى طاعة أمير المؤمنين في السر والعلانية، وفي عسري ويسري، ومنشطي ومكرهي، وأثرة عليَّ، وإني لأدعو الله له بالتسديد والتوفيق، في الليل والنهار[66].

فهل هذا الإمام الثابت الراسخ الشجاع لم يفقه هذه الأحاديث ـ التي يُزايد بها الناس على علماء الشرع الشريف ـ وهو إمام أهل السنة والجماعة، وتلميذ الشافعي في علمي الحديث والفقه؟؟!!

ومن اطلع على تراجم وأحوال العلماء المخلصين منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا لمس في سيرتهم ما يدل على نُصحهم للولاة والحكام وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وذلك إذا كانوا (عند) الحاكم، أما إذا كانوا بين العامة جمعوا العامة على الحكام وأمروهم بالسمع والطاعة في المعروف، ونهوهم عن أن يشقوا عصا الطاعة أو يخرجوا على الولاة والحكام، أو يفرقوا الكلمة، أو يفارقوا الجماعة[67]؛ فانظر -هدانا الله وإياك- كيف ينصحون لأئمة المسلمين وعامتهم معا، وذلك لأن لكل مقام مقال.

وبعدُ؛ فإن النصيحة للعلماءِ تكون: بقبول ما رووه، وتقليدهم في الأحكام، وإحسان الظن بهم، وإجلالهم وتوقيرهم، والوفاءِ بما يجب لهم على الكافَّة من

66. البداية والنهاية: 10/ 432.

67. هذا إذا لم يكن الحاكم عدوًّا خارجيًّا محتلا، أما إذا كان الحاكم أجنبيًّ عدوًّا محتلا كانوا في مقدمة صفوف المقاومة ضد العدو المحتل الغاصب .

الحقوق التي لا تخفى على الموفقين، وأخذ العلم عنهم وإحسان الظن بهم والتعظيم لهم والتواضع[68].

أما عن تقليدهم في الأحكام: فقد ذهب بعض العلماء إلى أن ذلك من نصحهم، وخالف في ذلك الصنعاني رحمه الله فقال: "ليس ذلك من نصحهم؛ فإن الله لم يأمر بالتقليد، بل أمر العباد بسؤال العلماء عن حكم المسألة ودليلها كما قررناه في (إرشاد النقاد)[69] بحمد الله"[70].

ولا يخفى أن الرأي الأول أرجح وأولى، خاصة بالنسبة لمن لم يملك أدوات العلم الشرعي، والله أعلم.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

"والنصيحة للعلماء تكون بأمورٍ منها:

الأول: محبتهم، لأنك إذا لم تحب أحداً فإنك لن تتأسّى به.

---

68. الفتح المبين ص257.

69. انظر إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: 1182هـ)، تح: صلاح الدين مقبول أحمد، الدار السلفية – الكويت، ط1، 1405هـ، ص156: 158.

70. التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (ت: 1182هـ)، تح: د./ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432 هـ – 2011 م، 3/ 440.

الثاني: معونتهم ومساعدتهم في بيان الحق، فتنشر كتبهم بالوسائل الإعلامية المتنوعة التي تختلف في كل زمان ومكان.

الثالث: الذبّ عن أعراضهم، بمعنى أن لا تقرّ أحدًا على غيبتهم والوقوع في أعراضهم، وإذا نسب إلى أحدٍ من العلماء الربانيين شيء يُستنكر فعليك أن تتخذ هذه المراحل:

المرحلة الأولى: أن تتثبت من نسبتِهِ إليه، فكم من أشياء نسبت إلى عالم وهي كذب، فلابد أن تتأكد، فإذا تأكدت من نسبة الكلام إليه فانتقل إلى المرحلة الثانية وهي:

أن تتأمل: هل هذا محل انتقاد أم لا؟ لأنه قد يبدو للإنسان في أول وهلة أن القول منتقد، وعند التأمل يرى أنه حق، فلابد أن تتأمل حتى تنظر هل هو منتقد أو لا؟

المرحلة الثالثة: إذا تبيّن أنه ليس بمنتقد فالواجب أن تذبّ عنه وتنشر هذا بين الناس، وتبين أن ما قاله هذا العالم فهو حق وإن خالف ما عليه الناس.

المرحلة الرابعة: إذا تبين لك حسب رأيك أن ما نسب إلى العالم وصحت نسبته إليه ليس بحق، فالواجب أن تتصل بهذا العالم بأدب ووقار، وتقول: سمعت عنك كذا وكذا، وأحب أن تبين لي وجه ذلك، لأنك أعلم مني، فإذا بيّن لك هذا فلك حق المناقشة، لكن بأدب واحترام وتعظيم له بحسب مكانته وبحسب ما يليق به.

أما ما يفعله بعض الجهلة الذين يأتون إلى العالم الذي رأى بخلاف ما يرون، يأتون إليه بعنف وشدة، وربما نفضوا أيديهم في وجه العالم، وقالوا له: ما هذا القول

الذي أحدثته؟ ما هذا القول المنكر؟ وأنت لا تخاف الله، وبعد التأمل تجد العالم موافقاً للحديث وهم المخالفون له، وغالب ما يؤتى هؤلاء من إعجابهم بأنفسهم، وظنهم أنهم هم أهل السنة وأنهم هم الذين على طريق السلف، وهم أبعد ما يكون عن طريق السلف وعن السنة، فالإنسان إذا أعجب بنفسه – نسأل الله السلامة – رأى غيره كالذر، فاحذر هذا.

الأمر الرابع من النصيحة للعلماء: أنك إذا رأيت منهم خطأ فلا تسكت وتقول: هذا أعلم مني، بل تناقش بأدب واحترام، لأنه أحياناً يخفى على الإنسان الحكم فينبهه من هو دونه في العلم فيتنبه وهذا من النصيحة للعلماء.

الخامس: أن تدلهم على خير ما يكون في دعوة الناس، فإذا رأيت هذا العالم محبًّا لنشر العلم ويتكلم في كل مكان وترى الناس يتثاقلونه ويقولون هذا أثقل علينا، كلما جلسنا قام يحدّث، فمن النصيحة لهذا العالم أن تشير عليه أن لا يتكلم إلا فيما يناسب المقام، لا تقل: إني إذا قلت ذلك منعته من نشر العلم، بل هذا في الواقع من حفظ العلم، لأن الناس إذا ملّوا سئموا من العالم ومن حديثه.

ولهذا كان النبي ﷺ يتخول أصحابه بالموعظة، يعني لا يكثر الوعظ عليهم مع أن كلامه ﷺ محبوب إلى النفوس لكن خشية السآمة، والإنسان يجب أن يكون مع الناس كالراعي يختار ما هو أنفع وأجدى"[71].

71. شرح الأربعين للعثيمين ص120.

ويقول رحمه الله في (شرح رياض الصالحين):

"والنصح لأئمة المسلمين في الدين والعلم، وهو: أن يحرص الإنسان على تلقي ما عندهم من العلم، فإنهم الواسطة بين الرسول ﷺ وبين أمته، فيحرص على تلقى العلم منهم بكل وسيلة، وقد كثرت الوسائل في وقتنا ولله الحمد من كتابة وتسجيل وتلقّ وغير ذلك، فليحرص على تلقي العلم من العلماء، وليكن تلقيه على وجه التأني لا على وجه التسرع؛ لأن الإنسان إذا تسرع في تلقي العلم فربما يتلقاه على غير ما ألقاه إليه شيخه وقد أدب الله النبي ﷺ هذا الأدب، فقال تعالى (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) (القيامة: 16-19)، لأن النبي ﷺ كان يبادر جبريل عليه السلام إذا ألقى عليه القرآن فيقرأ، فقال الله تعالى (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) يعني لا تحرك اللسان- ولا سراً - حتى ينتهي جبريل من القراءة، ثم بعد ذلك اقرأه، (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (القيامة: 18-19)، تكفل الربّ ﷻ ببيانه يعني أنك لن تنساه، مع أن المتوقع أن الإنسان إذا سكت حتى ينتهي الملقي من إلقائه ربما ينسى بعض الجمل، لكن قال الله ﷻ: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ).

ومن النصح أيضاً لعلماء المسلمين: أن لا يتتبع الإنسان عوراتهم وزلاتهم وما يخطئون فيه؛ لأنهم غير معصومين، قد يزلون وقد يخطئون، وكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون، ولا سيما من يتلقى العلم فإنه لا يجب أن يكون أبلغ الناس في تحمل الأخطاء التي يخطئ بها شيخه، وينهه عليها، فكم من إنسان انتفع من

تلاميذه؛ ينبهونه على بعض الشيء؛ على الخطأ العلمي، أو على الخطأ العملي، وعلى أخطاء كثيرة؛ لأن الإنسان بشر.

لكن الشيء المهم أن لا يكون حريصاً على تلقي الزلات، فإنه جاء في الحديث: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه فضحه الله ولو في بيت أمه"[72]، هذا وهم مسلمون عامة فيكف بالعلماء؟!.

إن الذين يلتقطون زلات العلماء ليشيعوها ليسوا مسيئين للعلماء شخصيًّا وحسب، بل مسيئون للعلماء شخصيًّا، ومسيئون إلي علمهم الذي يحملونه، ومسيئون إلي شريعة التي تتلقى من جهتهم؛ لأن العلماء إذا لم يثق الناس فيهم، وإذ اطلعوا على عوراتهم التي قد لا تكون عورات إلا على حسب نظر هذا المغرض، فإنه تقل ثقتهم بالعلماء وبما عندهم من العلم، فيكون في هذا جناية على الشرع الذي يحملونه من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام.

72. روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ "، قال شعيب الأرنؤوط في تخريجه: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن،...، وأخرجه أبو داود (4880)، وأبو يعلى (7424) من طريق أسود بن عامر، بهذا الإسناد، وأخرجه ابن أبي الدنيا في "الصمت" (168)، وأبو يعلى (7423)، والبيهقي في "السنن": 10/ 247، وفي "الشعب" (6754)، وفي "الآداب" (173) من طرق عن أبي بكر بن عياش، به.

لذلك من نصيحتك لأئمة المسلمين من أهل العلم أن تدافع عن عوراتهم، وأن تسترها ما استطعت، وأن لا تسكت إذا سمعت شيئًا بل نبّه العالم، وابحث معه واسأله، ربما ينقل عنه أشياء غير صحيحة، وقد نُقل عنا وعن غيرنا أشياء غير صحيحة، لكن الناس- نسأل الله العافية- إذا كان لهم هوى وأحبوا شيئًا وعرفوا أحدًا من أهل العلم يقبل الناسُ قوله، نسبوه لهذا العالم، ثم إذا سألت نفس الذي نسب إليه القول، قال: أبدًا ما قلت كذا، وقد يخطئ السائل مثلاً في صيغة السؤال، فيجب العالم على قدر السؤال ويفهمه السائل على حسب ما في نفسه هو، فيحصل الخطأ وقد يجيب العالم بالصواب بعد فهم السؤال لكن يفهمه السائل على غير وجهه فيخطئ في النقل.

وعلى كل حال؛ من النصيحة لأئمة المسلمين في العلم والدين أن لا يتتبع الإنسان عوراتهم، بل يلتمس العذر لهم، اتصل وقل سمعت عنك كذا وكذا هل هذا صحيح فإذا قال: نعم، قل: أظن أن هذا خطأٌ غلط حتى يبين لك وربما يشرح شيئاً لا تعرفه وتظن أنه أخطأ فيه، وربما قد خفي عليه شيء فتنبهه أنت، وتكون مشكورًا على هذا، وقد قال أول إمام في الدين والسلطة في هذه الأمة بعد الرسول ﷺ، وأبو بكر ﷺ، حيث خطب أول خطبة، قال للناس وهو يخاطبهم يتحدث عن نفسه: إن اعوججت فأقيموني، وذلك لأن الإنسان بشر.

فقوّم أخاك ولا سيما أهل العلم، لأن العالم خطره عظيم، الخطر الزللي، والخطر الرفيع، لأن كلمة الخطر تكون للعلو والنزول، فهو خطره عظيم، إن أصاب هدى

الله على يده خلقاً كثيراً، وإن أخطأ ضلّ على يد خلق كثير فزلة العالم من أعظم الزلات.

ولهذا أقول: يجب أن نحمي أعراض علمائنا، وأن ندافع عنهم، وأن نلتمس العذر لأخطائه من ولا يمنع هذا أن نتصل بهم، وأن نسألهم، وأن نبحث معهم، وأن نناقشهم حتى نكون مخلصين ناصحين لأئمة المسلمين"[73].

❋ ❋ ❋

73. شرح رياض الصالحين للعثيمين: 2/ 395.

5ـ النصيحة لعامة المسلمين

إن الإنسان ـ لأنه لا يرى نفسه إلا إذا نظر في المرآة، ونظره لنفسه في المرآة قليل بل نادر بالنسبة لنظره لمن حوله ـ يكون منتبها جيدا لعيوب الناس، وغافلا تماما عن عيوب نفسه، فهو ينقد كل من حوله ويغفل عن محاسبة نفسه وإصلاحها، وإذا قيل له: ينبغي عليك أن تهتم بنفسك، وعليك بنفسك فأصلحها، صدَّر جوابه بقول النبي ﷺ "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم"[74] ويغفل عن أنه أحد هؤلاء المسلمين المذكورين في الحديث الذين يجب أن يهتم بأمرهم، بل هو أولى المسلمين

74. روى الطبراني في المعجم الأوسط: عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ أَصْبَحَ وَهَمُّهُ الدُّنْيَا، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِالْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ أَعْطَى الذُّلَّ مِنْ نَفْسِهِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ، فَلَيْسَ مِنَّا» وقال: لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: يَزِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ. (المعجم الأوسط: 471)، ورواه أيضا عن حذيفة ﷺ مرفوعا وقال: لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ حُذَيْفَةَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيُّ" (المعجم الأوسط: 7473)، وأخرجه الحاكم في المستدرك (7889) عن حذيفة ﷺ وعلق عليه الذهبي في تلخيصه فقال: أحسب الخبر موضوعا" أ.هـ، ورواه أبو طاهر المخلَّص في المخلصيات (2926) عن أنس ﷺ وقال محققه في تخريجه:...له طرق وشواهد ضعفها كلها الألباني في «الضعيفة» (311) وقال: موضوع" أ.هـ، ورواه أبو نُعيم في (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) عن أنس ﷺ وعلق عليه مع حديثين قبله فقال: هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الثَّلَاثَةُ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ لَمْ يَرْوِهَا عَنْ أَنَس ﷺ غَيْرُ فَرْقَدٍ، وَلَا عَنْهُ إِلَّا وَهْبُ بْنُ رَاشِدٍ. وَوَهْبٌ وَفَرْقَدٌ غَيْرُ مُحْتَجٍّ بَحِدِيثِهِمَا وَتَفَرُّدِهِمَا" أ.هـ، ورواه البيهقي في "شعب الإيمان" (10102) عن أنس ﷺ وعلق عليه بقوله: إسناده ضعيف" أ.هـ، وبهذا يتبين لنا أن الحديث ضعيف.

بنفسه عند نصحها والاهتمام بإصلاح عيوبها؛ ومن هنا يمكننا أن نقسم نُصح العامة إلى قسمين: النصيحة للنفس، والنصيحة للغير.

أولا: النصيحة للنفس:

نقل ابن بطال عن أبي بكر الآجري قال:

"قال أبو بكر الآجرى: ولا يكون ناصحًا لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم إلا من بدأ بالنصيحة لنفسه، واجتهد فى طلب العلم والفقه، ليعرف به ما يجب عليه، ويعلم عداوة الشيطان له وكيف الحذر منه، ويعلم قبيح ما تميل إليه النفس حتى يخالفها بعلم"[75].

ومن النصح للنفس: أن ينصحها بالتوبة النصوح، وأن يأتي بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات، ويجعل قلبه محلا للنظر والفكر، وروحه مستقرًا للمحبة وسره منصة للمشاهدة. وعلى هذا أعمال كل عضو من العين، بأن يحملها على النظر إلى الآيات الناصة من الآفاقية والأنفسية، والأذن على الإصغاء إلى الآيات النازلة والأحاديث الواردة، واللسان على النطق بالحق وتحري الصدق والمواظبة على ذكر الله وثنائه، قال الله تعالى: {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان مسئولاً}[76].

---

75. شرح البخاري لابن بطال: 1/ 130.

76. الكاشف عن حقائق السنن: 10/ 3183.

ثانيا: النصيحة للغير:

قَالَ الْحَسَنُ البصري رحمه الله: إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ حَقَّ نَصِيحَتِكَ لِأَخِيكَ حَتَّى تَأْمُرَهُ بِمَا تَعْجِزُ عَنْهُ.... قَالَ الْحَسَنُ: وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ شِئْتُمْ لَأُقْسِمَنَّ لَكُمْ بِاللهَّ؛ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللهَّ إِلَى اللهَّ الَّذِينَ يُحَبِّبُونَ اللهَّ إِلَى عِبَادِهِ وَيُحَبِّبُونَ عِبَادَ اللهَّ إِلَى اللهَّ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ، وَقَالَ فَرْقَدٌ السَّبْخِيُّ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: الْمُحِبُّ للهَّ ﷻ أَمِيرٌ مُؤَمَّرٌ عَلَى الْأُمَرَاءِ، زُمْرَتُهُ أَوَّلُ الزُّمَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَجْلِسُهُ أَقْرَبُ الْمَجَالِسِ فِيمَا هُنَاكَ، وَالْمَحَبَّةُ فِيمَا هُنَاكَ، وَالْمَحَبَّةُ مُنْتَهَى الْقُرْبَةِ وَالِاجْتِهَادِ، وَلَنْ يَسْأَمَ الْمُحِبُّونَ مِنْ طُولِ اجْتِهَادِهِمْ للهَّ عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّونَهُ وَيُحَبُّونَ ذِكْرَهُ، وَيُحَبِّبُونَه إِلَى خَلْقِهِ، يَمْشُونَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالنَّصَائِحِ، وَيَخَافُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ تَبْدُو الْفَضَائِحُ، أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللهَّ وَأَحِبَّاؤُهُ وَأَهْلُ صَفْوَتِهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا رَاحَةَ لَهُمْ دُونَ لِقَائِهِ، وَقَالَ ابْنُ عُلَيَّةَ فِي قَوْلِ أَبِي بَكْرٍ الْمُزَنِيِّ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ، وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ: الَّذِي كَانَ فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ للهَّ ﷻ، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ[77].

وجماع نصيحة عامة المسلمين: تعليم ما يجهلونه من أمر الدين، وإرشادهم إلى مصالحهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والشفقة عليهم، وتوقير كبيرهم، والترحم على صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة، كنحو ما أرشد إليه في قوله ﷻ {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن} فقيل: إن المجادلة بالتي هي أحسن: ما كان نحو قوله ﷻ حكاية عن إبراهيم: {يا أبت لم تعبد

77. جامع العلوم والحكم: 1/ 224.

ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا}، وكقوله: {هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون}؛ فإن مثل هذه المجادلة تقيم الحجة، ولا تورث الوحشة، وهو معنى الدعاء إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، والله أعلم[78].

وَمِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ النُّصْحِ أَنْ يَنْصَحَ لِمَنِ اسْتَشَارَهُ فِي أَمْرِهِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «إِذَا اسْتَنْصَحَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَنْصَحْ لَهُ»[79] وَفِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ: «إِنَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَنْصَحَ لَهُ إِذَا غَابَ»[80] وَمَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ فِي غَيْبِهِ بِالسُّوءِ أَنْ

78. أعلام الحديث: 1/ 193.

79. رواه ابن أبي شيبه في مسنده (523)، والإمام أحمد في مسنده (18282) وقال شعيب الأرنؤوط في تخريجه: صحيح لغيره" أ.هـ، ورواه عبد بن حميد في المنتخب (438)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (5523)، والطبراني في المعجم الكبير (889).

80. روى الإمام أحمد في مسنده: 8271 - حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الْوَلِيدِ، عَنِ ابْنِ حُجَيْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " حَقُّ الْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ سِتُّ خِصَالٍ: أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيَهُ، وَيُشَمِّتَهُ إِذَا عَطَسَ، وَإِنْ دَعَاهُ أَنْ يُجِيبَهُ، وَإِذَا مَرِضَ أَنْ يَعُودَهُ، وَإِذَا مَاتَ أَنْ يَشْهَدَهُ، وَإِذَا غَابَ أَنْ يَنْصَحَ لَهُ "، وقال الشيخ/ شعيب الأرنؤوط في تخريجه: حديث صحيح، وفي هذا الإسناد ضعف، عبد الله بن الوليد -وهو ابن قيس بن الأخرم التجيبي -فيه لين -، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح غير ابنِ حجيرة -وهو الأصغر عبد الله بن عبد الرحمن بن حجيرة- فقد روى له النسائي، وأخرجه إسحاق بن راهويه في "مسنده" (328)، والبيهقي في "الشعب" (8753) من طريق أبي عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرىء، بهذا الإسناد، وأخرجه الترمذي (2737)، والنسائي 4/ 53 من طريق محمد بن موسى الفطري المدني، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، وسنده صحيح" أ.هـ.

يَنْصُرَهُ وَيَرُدَّ عَنْهُ، وَإِذَا رَأَى مَنْ يُرِيدُ أَذَاهُ فِي غَيْبِهِ كَفَّهُ عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ النُّصْحَ فِي الْغَيْبِ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ النُّصْحِ، فَإِنَّهُ قَدْ يَظْهَرُ النُّصْحُ فِي حُضُورِهِ تَمَلُّقًا، وَيَغُشُّهُ فِي غَيْبِهِ[81].

ومن النصيحة: أنه يجب على البائع أن ينصح للمشترى فيما يبيعه، وعلى الوكيل والشريك والخازن أن ينصح لأخيه، ولا يحب له إلا ما يحب لنفسه، وروى ابن عجلان عن عون بن عبد الله، قال: كان جرير إذا أقام السلعة بَصَّرهُ عيوبها، ثم خيَّره، فقال: إن شئت فاشترِ، وإن شئت فاترك، فقيل له: إذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع، فقال: إنا بايعنا رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم، وأَمر جرير مَوْلَاهُ أَن يَشْتَرِي لَهُ فرسا؛ فَاشْترى لَهُ فرسا بثلاثمائة دِرْهَم وَجَاء بِهِ وبصاحبه لينقده الثّمن، فَقَالَ جرير لصَاحب الْفرس: فرسك خير من ثَلَاثمِائَة ثمَّ اشْتَرَاهُ مِنْهُ بثمانمائة دِرْهَم، فَقيل لَهُ فِي ذَلِك فَقَالَ: إِنِّي بَايَعت النَّبِي ﷺ على النصح لكل مُسلم، أخرجه الطَّبَرَانِيّ، ويجب على العَالِم إذا رأى أمرًا يخشى منه الفتنة على الناس: أن يعظهم فى ذلك، ويرغبهم فى الألفة وترك الفرقة[82].

ومن النصح لعامة المسلمين: معونتهم فى أمر دينهم ودنياهم بالقول والعمل، وتنبيه غافلهم وتعليم جاهلهم، ورفد محتاجهم، وستر عوراتهم، ودفع المضار عنهم، وجلب المنافع فى الدين والدنيا إليهم[83]، وَأَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ بِرِفْقٍ وَإِخْلَاصٍ ـ بشروطه المقررة في محلها ـ، وَالشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَتَوْقِيرُ كَبِيرِهِمْ، وَرَحْمَةُ

81. جامع العلوم والحكم: 1/ 224.

82. شرح البخاري لابن بطال: 1/ 131.

83. إكمال المعلم: 1/ 307.

صَغِيرِهِمْ، وَتَخَوُّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَتَرْكُ غِشِّهِمْ وَحَسَدِهِمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لهم ما يحب لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَكْرَهُ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَكْرُوهِ، وَالذَّبُّ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَحَثُّهُمْ عَلَى التَّخَلُّقِ بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنْوَاعِ النصيحة، وتنشيط هممهم إِلَى الطَّاعَاتِ، وَقَدْ كَانَ فِي السَّلَفِ ﷺ مَنْ تَبْلُغُ بِهِ النَّصِيحَةُ إِلَى الْإِضْرَارِ بِدُنْيَاهُ[84]، وَأن يَحْزَنَ لِحُزْنِهِمْ، وَيَفْرَحَ لِفَرَحِهِمْ، وَإِنْ ضَرَّهُ ذَلِكَ فِي دُنْيَاهُ كَرُخْصِ أَسْعَارِهِمْ، وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ فَوَاتُ رِبْحِ مَا يَبِيعُ مِنْ تِجَارَتِهِ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا يَضُرُّهُمْ عَامَّةً، وَيُحِبُّ صَلَاحَهُمْ وَأُلْفَتَهُمْ وَدَوَامَ النِّعَمِ عَلَيْهِمْ، وَنَصْرَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَدَفْعَ كُلِّ أَذًى وَمَكْرُوهٍ عَنْهُمْ... وَمِنْ أَنْوَاعِ نُصْحِهِمْ بِدَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكْرُوهِ عَنْهُمْ إِيثَارُ فَقِيرِهِمْ وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَرَدُّ مَنْ زَاغَ مِنْهُمْ عَنِ الْحَقِّ فِي قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ بِالتَّلَطُّفِ فِي رَدِّهِمْ إِلَى الْحَقِّ، وَالرِّفْقُ بِهِمْ فِي الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَحَبَّةً لِإِزَالَةِ فَسَادِهِمْ وَلَوْ بِحُصُولِ ضَرَرٍ لَهُ فِي دُنْيَاهُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: وَدِدْتُ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ أَطَاعُوا اللهَ وَإِنَّ لَحْمِي قُرِضَ بِالْمَقَارِيضِ، وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي عَمِلْتُ فِيكُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَعَمِلْتُمْ بِهِ، فَكُلَّمَا عَمِلْتُ فِيكُمْ بِسُنَّةٍ، وَقَعَ مِنِّي عُضْوٌ حَتَّى يَكُونَ آخَرَ شَيْءٍ مِنْهَا خُرُوجُ نَفْسِي[85].

❋ ❋ ❋

84. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 2/ 39.

85. جامع العلوم والحكم: 1/ 223.